النقد الاجتماعي في شعر معروف الرصافي في ضوء القصيدة "الأرملة المرضعة"

Social Criticism in the Poetry of Maʿrūf al-Raṣāfī in Light of the Poem "The Nursing Widow"

DOI : https://doi.org/10.5281/zenodo.20488875

*Dr. Bakht Zubair,
**Dr. Inam ur Rehman
***Dr. Rashid Ahmad

Abstract

This study examines the social criticism in the poetry of Ma'ruf al-Rusafi, *with particular focus on his poem "الأرملة المرضعة" as a representative model of social poetry in modern Arabic literature. Living through a period of intense political and social transformation in Ottoman and Iraqi society, al-Rasāfī employed poetry as a conscious instrument of reform, directing his verse toward exposing injustice, poverty, ignorance, and moral decline within his community.*

The paper analyzes how the poem portrays the tragic condition of a poor widow and her infant as a vivid symbol of the suffering of marginalized social groups. Through detailed imagery, emotional expression, and direct moral appeal, the poet transforms an individual human scene into a powerful critique of societal negligence, the absence of compassion, and the failure of the wealthy and influential to uphold social responsibility. The study further highlights the ethical values embedded in the poem, such as sympathy for the weak, relief for the distressed, preservation of human dignity in charity, altruism, and the promotion of mercy and social solidarity.

By tracing the linguistic, emotional, and thematic dimensions of the poem, this research demonstrates how al-Rasāfī's poetry transcends traditional praise and satire to become a vehicle for conscious social reform. The poem emerges not merely as a literary text, but as a moral and social statement that calls for awareness, responsibility, and collective compassion. The study concludes that "الأرملة المرضعة" stands as a significant example of social criticism in modern Arabic poetry and reflects al-Rasāfī's broader reformist vision of society.

Key words: *Ma'ruf al-Rusafi –Social Criticism – The Nursing Widow – Modern Arabic Literature.*

.....

**Lecturer, Department of Arabic, Islamia college University, Peshawar*
***Assistant Professor/ IPFP Fellow, Shaikh Zayed Islamic Centre, University of Peshawar*
****Director Shaikh Zayed Islamic Centre, University of Peshawar, Peshawar*

يُعد معروف الرصافي واحدا من أبرز شعراء العصر الحديث الذين حملوا هموم مجتمعهم، وجسّدوا في شعرهم روح الإصلاح والتغيير. فقد عاش الرصافي في فترة حافلة بالتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية، ما جعله يوجه قلمه نحو نقد الأوضاع المتردّية في المجتمع العثماني والعراقي على السواء، داعيا إلى الوعي والنهضة والتحرّر من الجهل والتخلف .

لقد اتخذ الرصافي من الشعر وسيلةً للتعبير عن معاناة الطبقات الفقيرة، وفضح مظاهر الظلم والاستبداد، وكشف التناقضات الاجتماعية التي كانت تفتك بالنسيج الوطني. فكان شعره مرآة صادقة لواقع أمته، وميدانا رحبا للنقد الاجتماعي الذي تجاوز حدود المدح والهجاء التقليدي إلى خطاب إصلاحيّ واع يسعى إلى بناء الإنسان والمجتمع. ومن بين قصائده التي تجلّى فيها هذا الاتجاه النقدي الإنساني، تبرز قصيدته "الأرملة المرضعة" التي تُعدّ من روائع الشعر الاجتماعي في الأدب العربي الحديث.

في هذه القصيدة يصوّر الرصافي مأساة امرأة فقيرة، أرملة فقدت زوجها، في مشهدٍ يهزّ الوجدان ويكشف حجم المعاناة التي تعيشها الطبقات المسحوقة في المجتمع. ومن خلال هذا النموذج الإنساني البسيط، يوجّه الشاعر نقداً لاذعًا للمجتمع الذي سمح بانتشار الفقر والعوز، وانتقد تخاذل الأغنياء وأصحاب النفوذ الذين غابت عنهم الرحمة والمسؤولية.

تظهر في القصيدة قدرة الرصافي على الجمع بين العاطفة الصادقة والرسالة الاجتماعية الواعية؛ إذ يستخدم الصورة الشعرية والتعبير المباشر ليُثير التعاطف ويحرّك الضمير الجمعي نحو الإصلاح. وهكذا تتحول "الأرملة المرضعة" إلى رمزٍ للمرأة الكادحة، وإلى صرخة احتجاجٍ على واقعٍ مليءٍ بالظلم الاجتماعي.

الكلمات الدلالية: معروف الرصافي، النقد الاجتماعي، قصيدة الأرملة المرضعة، الأدب العربي الحديث.

حياة معروف الرصافي

أولًا: نسبه ونشأته

هو معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري البغدادي الرصافي،شاعر العراق في عصره، وُلِد في بغداد سنة **1875**م في محلة الدهّانة، ونُسب إلى الرصافة وهي أحد جانبي بغداد، ولذلك لُقّب بـــ"الرصافي". نشأ في بيئة متواضعة، وتوفي والده وهو صغير، فتكفّل بتربيته أحد أقاربه. أصله من عشيرة الجبارة في كركوك. تلقّى الرصافي تعليمه الأولي في المدارس الدينية التقليدية، ثم التحق بالمدرسة الرشيدية العسكرية، لكنه لم يُكمل دراسته فيها، ليتجه إلى طلب العلم على أيدي علماء بغداد، ومن أبرزهم الشيخ عبد الوهاب النائب والشيخ قاسم القيسي والشيخ قاسم البياتي والشيخ عباس

القصاب، ثم لازم العالم اللغوي محمود شكري الآلوسي زهاء عشر سنوات، والذي تأثر به تأثرًا كبيرًا في علوم اللغة والأدب، وهوالذي
لقبه بالرصافي ليكون مقابلا للشيخ معروف الكرخي.[1]

ثانيًا: حياته العملية

بدأ الرصافي حياته العملية مدرّسًا للغة العربية في عدد من المدارس في بغداد، رحل بعد الدستور إلى الأستانة فعين معلما للغة العربية في المدرسة الملكية، وانتخب نائبا في المجلس العثماني، انتقل بعد الحرب العالمية الأولى إلى دمشق سنة 1918م، ورحل إلى القدس حيث عين مدرسا للأدب العربي في دار المعلمين بالقدس، وأصدر جريدة الأمل يومية سنة 1923م، انتخب في مجلس النواب في بغداد خمس مرات. زار مصر سنة 1936م، ثم قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني ببغداد فكان من خطبائها. وعين نائبا لرئيس لجنة الترجمة والتعريب بوزارة المعارف[2] ثم انتقل إلى إسطنبول سنة 1908م ، حيث اشتغل محررا في مجلة سبيل الرشاد، ومعلما للغة العربية في المدرسة السلطانية، ومعلما للخطابة في في مدرسة الوعظ، اختاره الوزير طلعت باشا ليكون معلمه الخاص في اللغة العربية.[3]

ثالثًا: منزلته وشعره:

كان معروف الرصافي صوتًا حرًّا وجريئًا في عصره، دعا إلى الإصلاح الاجتماعي والفكري والسياسي، ونادى بالتعليم والمساواة ومحاربة الجهل والتعصّب.آمن بأن الشعر يجب أن يكون أداة وعي وإصلاح، لا وسيلة مديحٍ وتكسّب فحسب، فهاجم الاستبداد والظلم، وانتقد رجال الدين المنافقين والطبقات الغنية المستغلة للفقراء. نظم الرصافي أروع قصائده في الاجتماع والثورة على الظلم والاستبداد، أجاد كل الإجادة في تنوع موضوعات شعره التي دار عليها موضوع الشعر العربي منذ عرف. وشعره سهل جزل تشربه حتى نفوس من لم يدرسوا الأدب كثيرا.[4] كان جزل الألفاظ في أكثر شعره، عالي الأسلوب حتى في مجونه، هجاءا مرا، وصافا مجيدا، ملأ الأسماع دويا في بدء شهرته.[5] سارت بذكره الركبان وتغنى بشعره كل من نطق بالضاد، وحفظ من قصيده القاصي والداني، والقريب والبعيد لما تميز به من سلاسة الألفاظ وسمو المعاني الذي يذكرنا بعهود المتنبي والبحتري وأبي تمام وغيرهم من فحول شعراء العرب وأساتذة القريض.[6] شعره ذو ديباجة جيدة، مع جزالة اللفظ وجمال التصوير.[7]

رابعًا: وفاته

قضى الرصافي سنواته الأخيرة في عزلة وفقرٍ في منطقة الأعظمية ببغداد، بعد أن خذله المجتمع والسلطة التي انتقدها بشجاعة. توفي عام 1945م، تاركًا تراثًا أدبيًا وفكريًا خالدًا، جعله أحد أركان الشعر العربي الحديث وصوتًا صادقًا للضمير الاجتماعي في عصره.

النقد الاجتماعي:

عند تتبع دلالة اللفظة النقد عند العرب نجد أنها كانت تعني نقد الدراهم والدنانير، أي بيان رديئها من جيدها، وسليمها من زائفها، وشبهوا كذلك الناقد بالصيرفي الذي كان يقوم بفرز الدنانير والدراهم. جاء في لسان العرب: النقد خلاف النسيئة والنقد والتنقاد : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير تنقاد الصياريف.

وفي حديث أبي الدرداء أنه قال: إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك. معنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم قابلوك بمثله.[8] و يأتي بمعنى: الاعطاء، يقال: نقده الدراهم، ونقد له الدراهم: أعطاه إياها، فانتقدها: أي قبضها.[9] كما يأتي بمعنى: اختلاس النظر إلى الشيئ، نقد الرجل الشيئ بنظره ينقده نقدا ونقد إليه، بمعنى: اختلس النظرة نحوه، وما زال ينقد بصره إلى الشيئ إذا لم يزل ينظر إليه، والإنسان ينقد الشيئ بعينه، هو مخالسة النظر لئلا يفطن إليه.[10]

وفي الاصطلاح: هو فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي، وتحديد مكانتها في مسيرة الآداب، والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتحليل.[11] والنقد هو ملكة الحكم على الأشياء، قبولا أو رفضا، استحسانا أو استهجانا، ووضعها في منزل من منازل الحكم لدى الناقد، استنادا إلى ذوقه وثقافته، ومفهومه العام للحياة والوجود.[12]والنقد الاجتماعي هو الكتابة في موضوع اجتماعي أو عن شأن من شؤون المجتمع، ويهتم الشاعر بدراسة قضايا الناس ومشكلاتهم الاجتماعية ويقدم عبرها رأيا أو يبرز إتجاها أو يقاوم عيبا أو يضع حلا أو علاجا. ويمكن اعتباره من الأجناس الأدبية إذا كان الأثر الأدبي يعالج عيبا إقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا، وفي أغلب الأحيان لا يعالج سوى الموضوعات التي تهم الرأي العام في حينها، والأمر الذي يجعل منه نوعا من الأدب لا يهم من يعيشون في غير عصره، وهذا الجنس يستعير قوالب أدبية معروفة كالشعر والرواية النثرية والمقالة النثرية لكنه في أغلب أحيانه يعتمد على النوعين الأخيرين، إلا أن الشعر كان وسيطا للنقد الاجتماعي في العصور الرومانتيكية المختلفة بغرب أوربا، ويمكن أن تعتبر المدرسة الواقعية والمدرسة الطبيعية في تاريخ الرواية الفرنسية مظهرين واضحين للنقد الاجتماعي ...[13]

الرصافي والمجتمع:

البيئة وأحوال العصر دعت الرصافي إلى الاهتمام بشؤون الوطن والناس، والموضوعات هي: حرية الرأي، ونشر العلم والقضاء على الجهل، وحرية المرأة وإخراجها من الظلمة، والاعتماد على النفس ونبذ التواكل والتخاذل، ونشر لواء العدل والإنصاف للطبقة البائسة. إنها موضوعات لاكتها الألسنة، وترددت أصوات دعاتها في كل مكان، وقد عالجها الرصافي بكل ما أوتي من قوة حتى عرف بشاعر البؤساء، كان همه الأول أن يوقظ الناس من غفلتهم فيتطلعوا إلى الوجود تطلع أحياء، ويخرجوا من الجمود إلى الحركة، ومن الخمول والتشنج إلى العمل الذي ينفع ويرفع.[14] وكثيرا ما عرض الرصافي للبؤس والبؤساء، والفقر والفقراء، واليتم والأيتام، قال في حديث له:"كانت مشاهد البؤس من أشعر الدواعي عندي إلى نظم الشعر." ولمشاهد البؤس عنده أوصاف ومظاهر ينتشر الحزن والألم فيها انتشارا شديدا، ويحاول الشاعر أن يجعلها في إطار مؤثر، ويبدي عندها آراءه الإصلاحية، وقد ظهر الشاعر في هذه القصائد بمظهر الإنسانية التي تحتضن الشقاء احتضانا، وتحاول بلسمة الجراح بعاطفة خيّرة، وروح كريمة حافلة بالحنان والشفقة، وقلب كبير تملأه المحبة لبني الإنسان، وعين سخية تذرف الدمع على شقاء البشر.[15] والرصافي خير من صوّر آلام الفقراء، وخير من شظف العيش وقسوة الحياة، وديوانه يزخر بقصائد كثيرة رائعة في وصف هذه الآلام، بل إن شاعريته بدأت ظواهرها، وانبعثت أسرارها، وفاضت بحارها في هذا اللون من الشعر، الذي ينبعث منه الأنين، وتتصعد الزفرات، حتى إنك لتحس أنه يحس ما يجد هؤلاء من عنت وإرهاق، وإن ينابيع شعر الرصافي قد تفجرت أول ما تفجرت في وصف ما يكابد هؤلاء المحرومون.[16]

قصيدة (الأرملة المرضعة)

للرصافي في مجال تصوير آلام الضعفاء في المجتمع قصائد كثيرة، مؤثرة ومثيرة، منها القصيدة التي نحن بصددها، وهي التي دعاها الشاعر (الأرملة المرضعة)، وقد وصف فيها الشاعر هذه المرأة وصفا بارعا في ظاهر أمرها وباطن ألمها، وصفا يبعث الشجون ويستذرف الدموع. وقد دعا الرصافي من خلال هذه القصيدة إلى عدة القيم الإجتماعية العالية، من أعظمها:

1. الاشفاق على الضعفاء: لقد احتلت قضية الضعفاء مساحة كبيرة في شعر الرصافي، فكتب عن الأرملة التي تخوض معركة الحياة منفردة، وعن اليتيم الذي يطوف على البيوت بحثا عن لقمة، وعن الفقير الذي تصفعه قسوة الواقع، وعن العامل الذي يكد ليل نهار ولا يحصد إلا الشقاء. ولا يمكن النظر إلى إشفاق الرصافي على الضعفاء بوصفه مجرد إحساس إنساني، بل هو موقف فكري يحاول أن يثير الوعي الاجتماعي، ويحمل المجتمع مسؤولية حماية هذه الفئات، فالضعفاء ليسوا عبئا، بل هم

معيار حضارة المجتمع وأن إهمالهم دليل على خلل أخلاقي يجب إصلاحه. ثم إن الرصافي شاعر إحساسي في أعلى درجة الإحساس، بحيث مجرد رؤية المأسويات كانت تثير إحساساته وتحزنه كثيرا، حتى كان يتمنى إن لم يكن يراها. فهو عندما يرى تلك الأرملة في تلك الحالة المفجعة، تثور عواطفه، فبدأ قصيدته بروح الإنسان الحزين على لقائه بإمرأة أرملة. وقد عبر في هذه القصيدة عن كوامن نفسية في صورها ومعانيها المختبئة خلف الألفاظ. يقول:

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها

أثوابها رثّة والرجلُ حافية والدمع تذرفه في الخدِّ عينـــاها[17]

وللدعوة إلى هذه السحية العالية يصف الشاعر تلك المرأة البائسة وصفا يجعل السامع والقارئ يتأثر بها، فهو يصف كثرة بكائها، وتغيير لونها من الجوع، وضعف جسمها،... كما وصف الشاعر وليدتها المرضعة التي تبكي من شدة الجوع، ولا تستطيع النوم طوال الليل، وتبكي معها أمها التي تتألم لألمها بما جر عليهما الزمان من صروف ونكبات إذ احترم حياة عائلهما الذي يضمن بقاؤه لهما بقاء السعادة، ويحفظ لهما ماء وجهما أن يراق، وحياءهما أن يبتذل ويهان[18]. يقول:

بكت من الفقر فاحمرّت مدامعها واصفرّ كالوَرس من جوعٍ مُحياها

الموت أفجعها والفقر أوجعها والهم أنحلها والغم أضناها

كر الجديدين قد أبلى عباءَتها فانشق أسفلها وانشق أعلاها

تمشي وتحمل باليُسرى وليدَتها حَملا على الصدر مدعوما بيُمناها

تقول: يا رب لا تترك بِلا لبنٍ هذي الرضيعة وارحمـــــني وإياها

يا ربُّ ما حيلتي فيها وقد ذبلت كزهرة الروض فَقْدُ الغيث أظماها

ما بالها وهي طول الليل باكيةٌ والأم ساهرة تبكي لمبكاها[19]

2.التطرق إلى أسباب الشقاء: يتطرق الرصافي في هذه القصيدة إلى أسباب شقاء الضعفاء في المجتمع، ويحمّل الفقر جزءا أكبر في أسباب الشقاء. فهو يرى أن المجتمع الذي يعاني من البؤس والجوع والفقر لا يمكن أن يكون قويا، فبسبب الفقر يضيع الأطفال وتنكسر الأرامل ويشعر الفقراء بالذل والظلم والإهانة، و تستبد الطبقة الغنية. الفقر يذل الإنسان ويفقده الكرامة في المجتمع. يلي هذا السبب –عند الشاعر– اليتم ثم تقلبات الحياة هوالذي يشقى الضعفاء. كما لا ينسى الشاعر أن يذكر السبب الأعظم وهو قلة وجود الرحمة والشفقة في

الناس، ولو وجد هؤلاء في المجتمع لما شعر الضعفاء بالضعف وقلة الحيلة.يقول:

مات الذي كان يحميها ويسعدها فالدهر من بعده بالفقر أشقاها

ومزّق الدهرُ ويلُ الدهرِ مئزرها حتى بدا من شقوق الثوب جَنباها
وَيح ابنتي إنّ ريبَ الدهر روّعها بالفقر واليتم، آهًا منهما آها
كانت مصيبتها بالفقر واحدةً وموت والدها باليُتم ثنّاها
لو عَمّ في الناس حِسٌّ مثل حسّك لي ما تاه في فَلَوات الفقر مَن تاها
أو كان في الناس إنصافٌ ومرحمة لم تشكُ أرملة ضَنكًا بدنياها[20]

3. إغاثة الملهوف: بعد وصف حال تلك المرأة المسكينة، يأتي دور مساعدتها فقد حنا الشاعر عليهما حين أحس بوجدهما، واستشعر آلامهما، فتبع الأرملة ليستبين حقيقة أمرها، وقد أدمت فؤاده دعواتها التي كان لسان حالها ينطق بها، وكان صمتها يترجم عنها، أو كأنه يسمع همسات الشفاه، ونجوى القلوب، ثم يمد يده إليها مصافحا بما ملكت يداه مما كان يضن به، ويحتفظ به ثمنا لبلغ من صبابة العيش.[21] يقول:

هذا الذي في طريقي كنت أسمعه منها فأثّر في نفسي وأشجاها
حتى دنوت إليها وهي ماشية وأدمعي أوسعت في الخد مجراها
ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهمًا كنت أستبقي بقاياها[22]

رأينا في هذه الأبيات كيف بلغت الرحمة والشفقة من قلب شاعرنا، إن هذه الأبيات تعلن واضحا عن قلبه الرحيم، ويدعو الناس جميعا إلى إغاثة المكروبين والضعفاء.

4. حفظ كرامة النفس: يعد العطاء من القيم الإنسانية التي ترتقي بها المجتمعات وتتماسك بها العلاقات بين أفرادها، غير أن العطاء لا يحقق غايته المنشودة ما لم يبن على أساس راسخ من احترام الإنسان وصون كرامته. فحفظ كرامة النفس في العطاء هو مبدأ أخلاقي واجتماعي يضمن أن يظل فعل الإحسان محتفظا بإنسانيته ونقاء مقصده، بعيدا عن مظاهر الامتهان أو الاستعلاء. وقد أولت الشرائع الإسلامية، وفي مقدمتها الإسلام، أهمية كبيرة لهذا الجانب، فدعت إلى الستر، وتجنب المنّ، والرفق بالمحتاج، إدراكا بأن كرامة الإنسان رأس ماله الحقيقي. يقول الله عزوجل: الّذينَ يُنْفقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّه ثُمّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الّذينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتكُمْ بِالْمَنّ وَالْأَذَى كَالّذي يُنْفقُ مَالَهُ رِئَاءَ النّاسِ وَلَا يُؤْمنُ باللّه وَالْيَوْمِ الْآَخرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمّا كَسَبُوا وَاللّهُ لَا يَهْدي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.[23] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة... المنان بما أعطى..."[24] ويقول صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم

شماله ما تنفق يمينه."[25] هذا هو المبدأ العظيم الذي دعا إليه الشاعر، فقد حافظ على كرامة تلك المرأة المرضعة، فيخاطبها بالأخت ويستأذنها و يشاركها ماله وأنها ستأخذ حظها في هذا المال.

وقلت: يا أُخت مهلا إنني رجل أشارك الناس طرا في بلاياها

هل تسمح الأخت لي أن أشاطـــــــرها ما في يدي الآن أسترضي به الله

وقلت: يا أُخت أرجو منك تكرمتي بأخذها دونما مَنّ تغشاها[26]

ثم هو يعرف تماما يعتور العطاء من قبح المنّ، ورغبة المعطي من حسن الأحدوثة، وطيب الذكر، فيحترس هذا الاحتراس النبيل "دون ما منّ تغشاها" وهذا الشعور السامي بأن في قبول المعطى هبة المعطي تكرمة

له، وتفضلا عليه "وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي بأخذها".

5. الإيثار: إن الإيثار من أرقى القيم الإنسانية التي تسهم في بناء مجتمع متماسك، يسوده الرحمة والتعاون. وهو يعني أن يقدم الإنسان حاجة غيره على حاجته وأن يفضل مصلحة الغير على مصلحته. الإيثار يقرب القلوب ويزيل الحواجز بين أفراد المجتمع. ووجود الأشخاص الذين يؤثرون غيرهم في المال والوقت والجهد يخفف من معاناة الضعفاء، ويعالج كثيرا من المشكلات الاجتماعية مثل الفقر والمرض. والمجتمع الذي تنتشر فيه روح الإيثار يكون أكثر قوة وقدرة على مواجهة الأزمات، لأن كل فرد يشعر أنه مسؤول عن الآخرين، وهذا يعزز مفهوم التكافل الاجتماعي الذي يعد محورا أساسيا لاستقرار أي مجتمع. هذا هو المبدأ الذي دعا إليه الإسلام، فقال الله عزوجل: ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة.[27] وهذا ما دعا إليه الرصافي، ومن حقه أن يوصف بالكرم، بل بالإيثار، بسبب هذا البذل، لابكثرة المبذول، بل بقيمته، لأنه صدر عمن هو في أمس الحاجة إليه.

ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهمًا كنت أستبقي بقاياها[28]

6. شيوع الرحمة والاحسان في المجتمع: كان الرصافي من أعدى أعداء الفقر، وأكثر الناس شعورا بعذابه، وإحساسا بأثره في إذلال النفوس الكريمة، وجعل من نفسه قدوة في تقديم ما يستطيع مما يأسو جراحات المكلومين به. فليس من العجيب أن نراه يستخدم شاعريته، ويستعمل فنه ومواهبه في تحبيب الب إلى النفوس، وتحبيذ الإحسان إلى ذوي القدرة من المحرومين من إخوانهم في الوطنية وشركائهم في الإنسانية.[29] فإن كثيرا من المشكلات الاجتماعية –مثل الفقر والعنف والإهمال– تنشأ من قسوة القلب وضعف الشعور بالآخرين، وعندما تنشر الرحمة والإحسان تتراجع هذه الظواهر، إذ يجد الضعفاء من يساندهم ويحميهم ويحظون بالرعاية اللازمة، وبذلك يتحقق التكافل الذي تقوم عليه المجتمعات القوية. يقول الشاعر على لسان تلك المرأة البائسة:

وأجهشت ثم قالت وهي باكيـــــــــــة واهًا لمثلك من ذي رقّة واها
لو عَمّ في الناس حِسٌّ مثل حسّك لي ما تاه في فَلَوات الفـــــــقر مَن تاها
أو كان في الناس إنصافٌ ومرحمة لم تشكُ أرملة ضَنكًا بدنياها[30]

والرصافي يختم قصيدته ببيان تلك الحقيقة التي ينساها كثير من الناس في المجتمعات الكثيرة، وهي أن أولى الناس بالمؤاساة والمساعدة الأرامل، وأرفع الناس منزلة هو الشخص الذي يساعد ويساند تلك الأرامل. وهو يعلن واضحا أن العناية بالفئات الضعيفة في المجتمع واجب إجتماعي وأخلاقي يسهم في بناء مجتمع متراحم و مترابط، يشعر فيه كل فرد بمسؤوليته تجاه الآخر.

هذي حكاية حالٍ جئت أذكرها وليس يخفى على الأحرار مَغزاها
أَولى الأنام بعطف الناس أرملةٌ وأشرف الناس مَن في المال واساها[31]

نتائج البحث:

1. خلفية حياة معروف الرصافي شكلت مصدرا مباشرا لمواقفه النقدية.
2. شعر معروف الرصافي يتسم بمنهج اجتماعي واضح، فهو قد استخدم شعره مرآة لمشكلات المجتمع.
3. قصيدة "الأرملة المرضعة" تعد لوحة حية لمعاناة الفقراء، لا سيما الأرامل والأيتام.
4. الشاعر من خلال هذه القصيدة ينقد الظلم الاجتماعي الناتج عن تقصير الناس في التكافل والتماسك، والمرأة المرضعة رمز لهذا التقصير.
5. استخدم الشاعر الوصف التفصيلي للمرأة ورضيعتها ليتحول المعاناة الإنسانية إلى احتجاج شعري قوي، وتقريبه للفهم.
6. لا يكتفي الرصافي بتصوير البؤس والفقر، بل يوجّه القارئ نحو الإحساس بالمسؤولية. وهذا جزء من مشروعه الإصلاحي الواسع.
7. الأرملة ليست مجرد شخصية، بل رمز للطبقة الضعيفة، وصوت للضعفاء والمنكوبين في المجتمع.
8. القصيدة نموذج جميل للشعر الاجتماعي والاتجاه الاجتماعي في النقد، فهي تجمع بين الموقف الأخلاقي والإحساس الواقعي والنقد والاصلاح.
9. يستخدم الشاعر القصيدة لكشف الظلم الاجتماعي وفضح الفقر والبؤس، وبيان تقصير المجتمع في التعامل مع الضعفاء.
10. يدعو بها الشاعر إلى الرحمة والشفقة، والإحساس بالمسؤولية، ومساعدة الطبقة المسحوقة.

الهوامش:

1. الخطاط وليد الأعظمي، تاريخ الأعظمية، (دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1999م)، ص: 572.
2. د. يحيى مراد، معجم تراجم الشعراء الكبير،(دار الحديث، القاهرة،2006م)، ص: 684.
3. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م)، 899/3.
4. نفس المصدر، 898/3.
5. الزركلي، الأعلام (دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م)، 269/7.
6. إبراهيم الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، (مطبعة الرابطة، بغداد، 1958م)، ص:114.
7. الخطاط وليد الأعظمي، تاريخ الأعظمية، ص: 572.
8. ابن منظور، لسان العرب، د-ط، دار صادر- بيروت، 1990م، مادة: نقد، ج:3، ص:425. ينظر كذلك: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (دار الحديث، القاهرة، 2008م) ص: 1640.
9. الرازي، مختار الصحاح، (دار الكتاب العربي، بيروت) ص:281.
10. الجوهري، الصحاح (دار الحديث، القاهرة، 2009م) ص: 116.
11. د. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب (مكة للطباعة، مصر،1998م) ص:07.
12. د. إميل بديع يعقوب ود. ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب(دارالعلم للملايين، بيروت، 1987م) ص: 1261.
13. وهبة مجدي و المهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة الثانية،مكتبة لبنان- بيروت، 1984م، ص: 417.
14. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث). (دار الجيل، بيروت،ط:1، 1986م)، ص:488.
15. نفس المصدر. ص: 494.
16. بدوي أحمد طبانة، معروف الرصافي.. (مطبعة السعادة بجوار محافظة مص،ط:1، 1947م) ص:140.
17. معروف الرصافي، الديوان (دارالفكر العربي، مصر،ط:4، 1953م) ص:208.
18. بدوي أحمد طبانة، المصدر السابق، ص:141.
19. معروف الرصافي، المصدر السابق، ص: 208.
20. المصدر نفسه.
21. بدوي أحمد طبانة، المصدر السابق، ص:141.
22. معروف الرصافي، المصدر السابق، ص: 209.
23. البقرة: 262-264.
24. مسلم بن الحجاج النيشابوري ، صحيح مسلم،(دار طيبة، الرياض، 2006م) كتاب الإيمان، حديث رقم: 106.
25. البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، (دار ابن كثير، دمشق 2002م).حديث رقم: 1421.

26. معروف الرصافي، المصدر السابق، ص: 209.
27. الحشر: 9.
28. معروف الرصافي، المصدر السابق، ص: 209.
29. بدوي أحمد طبانة، المصدر السابق، ص: 143.
30. معروف الرصافي، المصدر السابق، ص: 209.
31. المصدر نفسه

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم. — The Holy Qur'an.

2. إبراهيم مصطفى عبد الرحمن، *في النقد الأدبي القديم عند العرب*. مصر: مكة للطباعة، 1998م Ibrāhīm Muṣṭafā ʿAbd al-Raḥmān, *Fī al-Naqd al-Adabī al-Qadīm ʿinda al-ʿArab*. Egypt: Makkah Press, 1998.

3. الأعظمي الخطاط وليد، *تاريخ الأعظمية*. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1999م — Walīd al-Aʿẓamī al-Khaṭṭāṭ, *Tārīkh al-Aʿẓamiyyah*. Beirut: Dār al-Bashā'ir al-Islāmiyyah, 1999.

4. ابن منظور، *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، 1990م — Ibn Manẓūr, *Lisān al-ʿArab*. Beirut: Dār Ṣādir, 1990.

5. البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع الصحيح*. دمشق: دار ابن كثير، 2002م — Muḥammad ibn Ismāʿīl al-Bukhārī, *al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ*. Damascus: Dār Ibn Kathīr, 2002.

6. الجوهري، *الصحاح*. القاهرة: دار الحديث، 2009م — al-Jawharī, *al-Ṣiḥāḥ*. Cairo: Dār al-Ḥadīth, 2009.

7. الدروبي إبراهيم، *البغداديون أخبارهم ومجالسهم*. بغداد: مطبعة الرابطة، 1958م — Ibrāhīm al-Durūbī, *al-Baghdādiyyūn: Akhbāruhum wa Majālisuhum*. Baghdad: Maṭbaʿat al-Rābiṭah, 1958.

8. الرازي، *مختار الصحاح*. بيروت: دار الكتاب العربي — al-Rāzī, *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ*. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

9. معروف الرصافي، *الديوان*. مصر: دار الفكر العربي — Maʿrūf al-Raṣāfī, *al-Dīwān*. Egypt: Dār al-Fikr al-ʿArabī.